ونسي ان الذين يولدون هكذا قد يفسدهم الترفيه والتفنيق فيكونون اشبه بحانيث العقيق[1] لا يذكرون مع الرجال ولا يصلحون لعمل من الاعمال

نعم انهُ حسن ان يولد الشبان عظاميين ذوي نسب عريق صميم واصل مجيد كريم واغنياء اصحاب مال تليد قديم . ولكن احسن من هذا ان يتقوا خطر الوجود في مثل هذه الحال بتأصل آبائهم واقتفاء خطواتهم في المساعي والاعمال وزيادة ما ورثوهُ عنهم من الجاه والمال متمثلين بقول من قال

إنا وان احسابنا كرمتْ لسنا على الاحساب نتكلُ
نبني كما كانت اوائلنا تبني وتفعل مثلما فعلوا

وخير من هذا وذاك ان يولد الشاب فقيراً وضيعاً ويكون ذا نفس عصامية تسمو بهِ الى الرفعة والعلاء فيطلبهما على طريق السعي والاجتهاد والبسالة والاقدام والصبر والثبات والخضوع لذوي السيادات فينال الثروة التي استوجبها والشرف الذي استحقهُ . ويكون خليقاً ان يدعى انساناً لانهُ ابن المشقة

البنوك واستثمار الاموال

ذكرنا غير مرة ان مقدار الذهب في بنك انكلترا قليل في جنب ما في غيرهِ من البنوك الدولية الكبيرة كبنك فرنسا و بنك روسيا فان بنك فرنسا يحوي غالباً ما يساوي مئة واربعين مليوناً من الجنيهات و بنك روسيا ما يساوي مئة وعشرين مليوناً واما بنك انكلترا فقلما يزيد ما فيهِ على سبعة وثلاثين مليوناً مع ان اكثر الذهب يستخرج من املاك الانكليز فلا تقصر قلتهُ في بنكهم الاكبر وسائر بنوكهم الاَّ بانهم يرسلون ذهبهم الى اقطار المسكونة ويستثمرونهُ في الاعمال النافعة . فقد حقق بعضهم ان سكان مدينة لندن يشترون كل سنة من سندات الحكومات والمجالس ما قيمتهُ ثمانون مليوناً من الجنيهات ومن اسهم شركات المستعمرات وسنداتها ما قيمتهُ احد عشر مليوناً ومن اسهم سكك الحديد وسنداتها ما قيمتهُ ستون مليوناً ومن اسهم شركات التعدين وسنداتها ما قيمتهُ سبعة ملايين ومن اسهم الشركات التي تبحث عن المعادن وتصلح الاراضي وتزرعها ما قيمتهُ ١٨ مليوناً ومن اسهم

(١) رجال من اهل الخلاعة والمجون يضرب بهم المثل في الفتك

شركات البترول ما قيمتهُ عشرة ملايين وهلم جرًّا وقد بلغ المال الذي اشتروا به اسهمًا وسندات في العام الماضي واستثمروهُ في الشركات المختلفة ٣٥٠ مليونًا من الجنيهات. ولهذه الاموال ربح سنوي لا يقل عن اربعة في المئة وقد يبلغ خمسة او ستة في المئة فاذا حسبنا انهُ اربعة في المئة فقط فالمبالغ التي وظفوها منذ عشرين سنة الى الآن تربحهم نحو مئتي مليون جنيه في السنة والمبالغ التي وظفوها منذ اربعين سنة الى الآن تربحهم نحو ثلثمئة وخمسين مليون جنيه او اكثر واذا حسبنا ان متوسط ربحهم اربعة في المئة كما هو الراجح فالثلاثمائة والخمسون مليونًا من الجنيهات التي وظفوها في العام الماضي آتية كلها من ربح اموالهم الموظفة في مستعمراتهم وفي سائر اقطار المسكونة ولذلك لا يدّعون الذهب مخزونًا في بيوتهم وبنوكهم من غير فائدة لهم او لغيرهم بل يوزعونهُ في المسكونة لعمل الاعمال النافعة

وقد ابتدأوا في هذه التجارة المالية الرابحة منذ عهد غير بعيد لكنهم فازوا فيها اعظم فوز بمعاضدة بنكهم الاكبر لهم لانهُ ينقل اموالهم الى حيث شاءوا ويأتيهم بالربح من كل مكان على وجه البسيطة ويوزعهُ عليهم . وهو ليس اول بنك انشئ في المسكونة ولكن لم يتفق لبنك آخر ان عضدتهُ دولة عظيمة رحيبة الجانب واسعة المستعمرات غنيتها كالدولة الانكليزية

اقدم بنك وصل الينا خبرهُ ولعلهُ اقدم بنك انشئ في المسكونة هو بنك بابل المعروف ببنك اجيبي وابنهِ وشركائهما الذي ورد ذكرهُ في المجلد الرابع من المقتطف

وكان بيت اجيبي هذا يتعاطى اكثر اعمال البنوك كتسليف النقود وارتهان الاملاك واعطاء التحاويل . وتاريخ سنداتهِ وتحاويلها يمتد من عهد امرحدون قبل المسيح بسبع مئة سنة الى عهد نبوخذنصّر ونابونيدس والملوك الذين جاءوا بعدهم الى عهد داريوس

وكان البابليون والاشوريون يتعاملون بالفضة والذهب قطعًا موزونة غير مسكوكة وقد وجد في جملة آثارهم المدفونة حجج وصكوك وسفاتج مطبوعة على صفائح الاجر بالقلم السفيني طبعًا غائرًا اي انها منقوشة عليها نقشًا وهي لا تفرق عن حججنا وصكوكنا وسفاتجنا فرقًا جوهريًّا الاَّ في تعيين المال وزنًا . وهاك صورة صفيحة قرأها المسيو لنورمان « اربعة امناء وخمسة عشر شاقلاً من الفضة لاردونانا بن يأكين على مردوخ بلاذُمّر بن مردوخ بلاتريب من مدينة ارخو . مردوخ بلاتريب يدفع في شهر تبث (دسمبر) اربعة امناء وخمسة عشر شاقلاً من الفضة لبلابلدن بن سنايد » ويتلو ذلك تاريخ الصفيحة واسماء الشهود . اما تاريخها

فالرابع عشر من ارخ سنته اي أكتوبر في السنة الثانية لنابونيدس ملك بابل . وكان نابونيدس هذا قبل المسيح بخمس مئة سنة

وكان اليونانيون القدماء يودعون الاموال البنوك و يستلفون منها النقود ويأخذون التحاويل . واقتبس الرومانيون ذلك عنهم كما يظهر من استخدامهم الكتابات اليونانية في معاملاتهم المالية . ومن شرائع الرومان انهُ اذا افلس بنك فالذين اودعوا اموالهم فيهِ من غير ربا يوفَّون قبل الذين وضعوا اموالهم فيهِ بالربا

وكثر انشاء البنوك في اوربا منذ القرن الخامس عشر ولكن لم يبلغ بنك منها مبلغ بنك انكلترا في اتساع الاعمال المالية . انشأهُ تاجر اسكتلندي اسمهُ بترسن سنة ١٦٩٤ فان الحكومة الانكليزية كانت تقترض الاموال من رعاياها على اسلوب نزري او تبتزهُ منهم ابتزازاً بالمصادرة والاستصفاء كما كانت الحال في هذا القطر منذ عهد غير بعيد . قيل ان الملك وليم الثالث احتاج الى النقود لنفقات الحرب فطاف وزيرهُ في شوارع لندن مع محافظها وجعلا يقترضان الاموال من التجار من هذا مئة جنيه ومن ذاك مئتان او اكثر . وبلغ المبتر بترسن ان الحكومة الانكليزية محتاجة الى مبلغ طائل من المال فجمع مليوناً ومئتي الف جنيه ودانها اياها بربا نعدهُ الآن فاحشاً ولو كان حينئذٍ معتدلاً وهو ثمانية في المئة سنوياً لكنهُ نال فوق الربا براءة من الحكومة بانشاء بنك انكلترا . وكانت مدة هذه البراءة اولاً احدى عشرة سنة ثم اطيلت بعد ذلك في ازمنة مختلفة . وزاد رأس مال البنك رويداً رويداً حتى بلغ ١٤ مليوناً و٥٥٣ الفاً سنة ١٨١٦ وبقي على ذلك حتى الآن . وبلغ مالهُ الاحتياطي ثلاثة ملايين ولم يزد كثيراً عن ذلك . وسمحت لهُ الحكومة ان يصدر الاوراق المالية . وقد فصَّلنا ذلك بالاسهاب في المجلد الثالث والعشرين من المقتطف فلا داعي للعودة اليهِ

وكان حساب هذا البنك في ٣٠ مايو الماضي هكذا

قسم الاصدار

قيمة الاوراق المالية التي اصدرها	٥٦٣٣٠٤٧٥ ج	لهُ دين على الحكومة	١١٠٠٥١٠٠ ج
		ضمانات اخرى	٧٤٣٤٩٠٠ «
		ذهب نقود وسبائك	٣٧٨٨٠٤٧٥ «
والجملة	٥٦٣٣٠٤٧٥ ج	والجملة	٥٦٣٣٠٤٧٥ «

قسم البنك

رأس المال	١٤٥٥٣٠٠٠ ج	ضمانات من اوراق الحكومة	١٤١٥٥٠١٣ ج
الاحتياطي	٠٣٢٣٦٤٥٦ ٠	ضمانات اخرى	٠٣٦٤٨٥٣٢٠
الاموال العمومية المودعة فيهِ	٠٢٠٤٨٥٧٩٨ ٠	اوراق مالية	٠٢٧٣٧٥٨١٥
اموال خصوصية مودعة فيهِ	٠٤١٢٠٩٣١٤ ٠	نقود ذهبية وفضية	٠ ١٤٨٠٣١٦
تحاويل لسبعة ايام الخ	٠٠٠١١٨٩٦ ٠		
والجملة	٠ ٧٩٤٩٦٤٦٤	والجملة	٠٣٧٤٩٦٤٦٤

و بلغت الاموال التي تعاملت بها بنوك انكلترا في مدة سنة الى ٣٠ مايو الماضي ٦٤٨٨ مليوناً و ٦٧٣ الف جنيه

و بلغت قيمة الذهب الذي في بنك فرنسا في ٣٠ مايو ١٣٠ مليون جنيه و ١١٦ الفاً و ٣٢٠ جنيهاً وقيمة الفضة فيهِ ٣٢ مليون جنيه و ٥٣٢ الفاً و ٣٦٠ جنيهاً

اما فائدة البنوك للتجارة فاشهر من ان تذكر وقد كادت تغني عن استعمال النقود في المعاملات التجارية على انواعها فلا يتحمل التجار شيئاً من مشقة نقل النقود ولا من نفقاتهِ

ولا بأس باعادة المثال الذي ذكرناهُ في المجلد الثالث والعشرين فان امثلتهُ تتكرَّر علينا كل يوم وهو ان احد مشتركي المقتطف في كولمبيا باميركا الجنوبية بعث الينا بقيمة الاشتراك تحويلاً من بنك كولمبيا على البنك العثماني في بيروت فامضيناهُ و بعثنا بهِ الى البنك الذي نتعامل معهُ في هذه العاصمة فقيدهُ لحسابنا وقضي الامر من جهتنا كأن قيمة الاشتراك وصلت الى يدنا نقداً اما البنك الذي استلم التحويل منا فيحاسب بهِ البنك العثماني في هذه العاصمة وهذا يحاسب بهِ البنك العثماني في بيروت او في الاستانة وهذا يحاسب بهِ البنك العثماني في لندن او باريس وهذا يحاسب بهِ بنك انكلترا او غيرهُ من البنوك الى ان يصل التحويل اخيراً الى بنك كولمبيا فيدفع قيمتهُ او يسددها بطريقة اخرى وهي قيمة الاشتراك التي اخذها من مشترك المقتطف كل ذلك لقاء غرش دفعهُ المشترك وقد لا يكون دفع شيئاً او يكون قد كسب غرشاً او اكثر حسب حالة السوق المالية لانهُ يتفق احياناً ان يأخذ منك البنك تسعة وتسعين غرشاً ويعطيك تحويلاً بمئة غرش فينقل لك هو والبريد قيمة مئة الغرش مجاناً وتربح غرشاً فوق هذه الخدمة المجانية

قلنا ان البنوك والتحاويل المالية كانت معروفة عند البابليين والاشوريين واليونانيين

والرومانيين . ثم لما دالت دولة الروم جاءت دول العرب فهل استعملوا البنوك كما استعملها الامم التي كانت قبلهم . هل كان عمّال مصر مثلاً يؤدّون الخراج الى البنوك او التجار في هذا القطر و يأخذون بها تحاويل على البنوك والتجار في دمشق و بغداد او كانوا يرسلونهُ نقوداً محمولة على الجمال والبغال . التواريخ العربية قلما تفصح عن ذلك ولكن ترد فيها احياناً اشارات الى ان الخراج كان يرسل نقوداً وامتعةً فقد جاء في المقريزي في حوادث سنة ١٨٢ ان الليث بن الفضل وُلّي من قبل الرشيد على الصلات والخراج فقدم لخمس خلون من شوال ثم خرج الى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ١٨٣ (اي بعد اقل من سنة) بالمال والهدايا واستخلف اخاهُ (او اباهُ) الفضل بن علي ثم عاد في آخر السنة وخرج ثانياً بالمال لتسع بقين من رمضان سنة ١٨٥ واستخلف هاشم بن عبدالله . . . وقدم لاربع عشرة خلت من المحرّم سنة ست وثمانين فكان كما فاق خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال الى امير المؤمنين هرون الرشيد ومعهُ الحساب »

وواضح من ذلك ان الخراج كان يرسل نقوداً في عهد هرون الرشيد الزاهر ولكن ذلك لا ينفي ان التجار كانوا يتعاملون بالتحاويل اي بالسفاتج فان كلمة السفتجة وهي فارسية تدلُّ دلالة صريحة على استعمال تجار العرب للتحاويل المالية قال الفيروز ابادي « السفتجة كقرطقة ان يعطي مالاً لآخر وللآخر مال في بلد المعطي فيوفيهِ اياهُ ثمَّ فيستفيد أمْن الطريق ونعلمهُ السفتجة بالفتح ». وعقب صاحب تاج العروس على ذلك بقولهِ « قد وقعت هذه اللفظة في سنن النسائي واختلفت عبارات الفقهاء في تفسيرها فمنهم من فسرها بما قالهُ المصنف وفسرها بعضهم فقال هي كتاب صاحب المال لوكيلهِ ان يدفع مالاً قراضاً يأمن بهِ من خطر الطريق معرب سفته الشيء المحكم سمي بهِ هذا القرض لاحكام امره وهو قرض استفاد بهِ المقرض سقوط خطر الطريق بان يقرض مالهُ عند الخوف عليهِ ليرد عليهِ في موضع آمن ». وتوفي النسائي سنة ٣٠٣ للهجرة فكانت السفاتج مستعملة في بلاد المسلمين في القرن الثالث بعد الهجرة والظاهر ان العرب اقتبسوا استعمالها من الفرس لاقتباسهم اسمها الفارسي

اما البنوك بالمعنى الذي تستعمل بهِ الآن فليس لها اسم عربي تعرف بهِ وكان الصيارف وتجار اليهود يعملون اكثر اعمال البنوك ولكنهم لم يفوقوا ما بلغهُ بيت اجيبي البابلي الذي كان قبل المسيح بسبع مئة سنة ولعلَّ سبب ذلك الاعتقاد بتحريم الربا مطلقاً فأقبل بهِ اوسع باب من ابواب الثروة